

العلاقة بين أبي تمام والبحتري بين الوهم والحقيقة

م. د. وسام عليّ محمد الخالدي
كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية

ملخص بحث

ولما كانت العرب والعراق بلد الشعر والشعراء ولها الفضل في إجاب أكبر شعراء العربية أبو تمام والبحتري شاعران عريان طائبان (عباسيان) اضافة للقصيدة العربية ملامح جديدة . وقد شغلت صحبتها أقلام الدارسين والباحثين . وأن من يستقري حياة الشاعرين سيجد أن حياة أبي تمام تتميز عن حياة البحتري على الرغم من عيشهما في عصر واحد.

إن العلاقة بين الشاعرين لم تكن موضع عناية الباحثين . بل انصب اهتمام النقاد والدارسين على شعر الرجلين . لذا فان هذه الدراسة اخذت على عاتقها تسليط الضوء على تلك العلاقة بوصفها محورا لها.

ومن خلال النظر في تاريخ هذه العلاقة نجد أن الصولي (ت: ٣٣٥هـ) هو أول من أشار إليها في كتابيه (أخبار ابي تمام) و (أخبار البحتري) . وجاء بعده الاصبهاني (ت: ٣٥٦هـ) . ثم الامدي (ت: ٣٧٠هـ) وبعدهم الحصري (ت: ٤٥٣هـ) وابن رشيق القيرواني (ت: ٤٥٦هـ) . لذا فإن جمع اشتات هذه الروايات واطالة النظر فيها يؤكد استنتاجا مفاده أن الصحبة كانت مفترضة وهي من نسج الرواة أو النساخين . وهذا ما خرجت به هذه الدراسة الموجزة عبر محورين هما:

الأول : عرض الروايات حسب تسلسلها التاريخي أو الزمني منذ الاقدم فالقديم إلى الحديث فالأحدث. أما المحور الثاني : فكان نقد هذه الروايات اسانيدا ومتنا ولغة مع استخلاص للنتائج في ضوءها . وان كانت هذه النتائج مخالفة لما جاءت به دراسات تناولت الموضوع ومن أشار إليها كل من د. صالح الاشتهر (١) ، واحمد أحمد بدوي (٢) ، د. شوقي ضيف (٣) ، د. خلف رشيد نعمان (٤) ، د. عمر فاروق الطباع (٥) . وقد أنطوت تلك الاشارات على صحة (صحبة) البحتري لأبي تمام وتتلهمه على يديه . وصحة نسبة الوصية إلى أبي تمام في حين ذهبت هذه

الدراسة إلى حقيقة مغايرة. تشكك بصحة الصحبة والوصية ألا أن د. يونس أحمد السامرائي (٦) قد خالفهم في الرأي إذ ذهب الى ان الغموض كان يكتنف لقاء البحتري بأبي تمام كما شكك بصحة الوصية المنسوبة لأبي تمام للبحتري ... وهذا ما اتفق عنده في دراستنا في الحوار القادمة .

المقدمة

أبو تمام والبحتري شاعران عريان طائبان (عباسيان) اضافة للقصيدة العربية ملامح جديدة . وقد شغلت صحبتها أقلام الدارسين والباحثين . وأن من يستقري حياة الشاعرين سيجد أن حياة أبي تمام تتميز عن حياة البحتري على الرغم من عيشهما في عصر واحد. إن العلاقة بين الشاعرين لم تكن موضع عناية الباحثين . بل انصب اهتمام النقاد والدارسين على شعر الرجلين . لذا فان هذه الدراسة اخذت على عاتقها تسليط الضوء على تلك العلاقة بوصفها محورا لها.

ومن خلال النظر في تاريخ هذه العلاقة نجد أن الصولي (ت: ٣٣٥هـ) هو أول من أشار إليها في كتابيه (أخبار ابي تمام) و (أخبار البحتري) . وجاء بعده الاصبهاني (ت: ٣٥٦هـ) . ثم الامدي (ت: ٣٧٠هـ) وبعدهم الحصري (ت: ٤٥٣هـ) وابن رشيق القيرواني (ت: ٤٥٦هـ) . لذا فإن جمع اشتات هذه الروايات واطالة النظر فيها يؤكد استنتاجا مفاده أن الصحبة كانت مفترضة وهي من نسج الرواة أو النساخين . وهذا ما خرجت به هذه الدراسة الموجزة عبر محورين هما:

الأول : عرض الروايات حسب تسلسلها التاريخي أو الزمني منذ الاقدم فالقديم إلى الحديث فالأحدث. أما المحور الثاني : فكان نقد هذه الروايات اسانيدا ومتنا ولغة مع استخلاص للنتائج في ضوءها . وان كانت هذه النتائج مخالفة لما جاءت به دراسات تناولت

٢- روايات أبي الفرج الاصبهائي (ت: ٣٥٦هـ) :
أورد ثلاث روايات:

- الرواية الأولى : ((حدثني علي بن سليمان: قال: حدثني أبو الغوث بن البحتري عن أبيه، وحدثني عمي: قال: حدثني علي بن العباس النوبختي، عن البحتري، وقد جمعت الحكايتين، وهما قريبتان: قال: أول ما رأيت أبا تمام أنني دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف، وقد مدحته بقصيدتي:

أفأق صب من هوى فأفأقا ... أو خان عهداً أو أطاع شفيقاً؟
فسر بها أبو سعيد، وقال: أحسنت والله يا فتى وأجدت، قال: وكان في مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه، فوق كل من حضر عنده، تكاد تمس ركبته ركبته، فأقبل علي ثم قال: يا فتى، أما تستحي مني! هذا شعر لي تنتحلّه، وتنشده بحضرتي! فقال له أبو سعيد: أحقّ تقول! قال: نعم، وإنما علّقه مني، فسبقني به إليك، وزاد فيه، ثم اندفع فأنشد أكثر هذه القصيدة، حتى شككني - علم الله - في نفسي، وبقيت متحيراً، فأقبل علي أبو سعيد، فقال: يا فتى، قد كان في قرابتك منا وودك لنا ما يغنيك عن هذا، فجعلت أحلف له بكل محرّجة من الأيمان أن الشعر لي ما سبقني إليه أحد، ولا سمعته منه، ولا انتحلته، فلم ينفع ذلك شيئاً، وأطرق أبو سعيد، وقطع بي، حتى تمنيت أن سخت في الأرض، فقامت منكسر البال أجر رجلي، فخرجت، فما هو إلا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان فردوني، فأقبل علي الرجل، فقال: الشعر لك يا بني، والله ما قلته قط، ولا سمعته إلا منك، ولكنني ظننت أنك تهاونت بموضعي، فأقدمت على الإنشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا، تريد بذلك مضاهاتي ومكاثرتي، حتى عرفني الأمير نسبك وموضعك، ولوددت ألا تلد أبداً طائفة إلا مثلك، وجعل أبو سعيد يضحك، ودعاني أبو تمام، وضممني إليه، وعانقني، وأقبل يقرظني، ولزمته بعد ذلك، وأخذت عنه، واقتديت به، هذه رواية من ذكرت)) (١٠)

- الرواية الثانية : ((حدثني محمد بن يحيى: قال: حدثني سوار بن أبي شراعة، عن البحتري: قال: وحدثني أبو عبد الله الألوسي، عن علي بن يوسف، عن البحتري: قال:

كان أول أمرني في الشعر ونباهتي أنني صرت إلى أبي تمام، وهو بحمص، فعرضت عليه شعري، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم، فأقبل علي، وترك سائر من حضر، فلما تفرقوا قال لي: أنت أشعر من أنشدني، فكيف بالله حالك؟ فشكوت خلة فكتب إلى أهل معرة النعمان، وشهد لي بالحق بالشعر، وشفع لي إليهم وقال: امتدحهم، فصرت إليهم، فأكرموني بكتابته، ووظفوا لي أربعة آلاف درهم، فكانت أول مال أصبته، وقال علي بن يوسف في خبره: فكانت نسخة كتابه: « يصل كتابي هذا على يد الوليد أبي عبادة الطائي، وهو - على بذاذته - شاعر فأكرموه)) (١٠)

الرواية الثالثة: ((وقد حدثني علي بن سليمان الأخفش أيضاً قال: حدثني عبد الله بن الحسين بن سند القطريلي: أن البحتري حدثه أنه دخل على أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري، وقد مدحه بقصيدة، وقصده بها، فألقى عنده أبا تمام

الموضوع ومن أشار إليها كل من د. صالح الاشترا (١)، وأحمد أحمد بدوي (٢)، د. شوقي ضيف (٣)، د. خلف رشيد نعمان (٤)، د. عمر فاروق الطباع (٥)، وقد أنطوت تلك الاشارات على صحة (صحبة) البحتري لأبي تمام وتلمذه على يديه، وصحة نسبة الوصية إلى أبي تمام في حين ذهب هذه الدراسة إلى حقيقة مغايرة، تشكك بصحة الصحبة والوصية ألا أن ديونس أحمد السامرائي (٦) قد خالفهم في الرأي أذ ذهب إلى أن الغموض كان يكتنف لقاء البحتري بأبي تمام كما شكك بصحة الوصية المنسوبة لأبي تمام للبحتري ... وهذا ما اتفق عنده في دراستنا في المحاور القادمة .

المحور الأول : عرض الروايات:

١- روايتنا الصولي (ت: ٣٣٥) أورد روايتين هما :-

الرواية الأولى : ((حدثني أبو الحسن علي بن إسماعيل قال، قال لي البحتري: أول ما رأيت أبا تمام مرة ما كنت عرفته قبلها، أنني دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف وقد امتدحته بقصيدتي التي أولها:

أفأق صب من هوى فأفأقا ... أو خان عهداً أو أطاع شفيقاً؟
فأنشدته إياها، فلما أتمتها سر أبو سعيد بها وقال: أحسن الله إليك يا فتى، فقال له رجل في المجلس: هذا - أعزك الله - شعر لي، علّقه هذا فسبقني به إليك، فتغير وجه أبي سعيد وقال: يا فتى قد كان في نسبك وقرابتك ما يكفيك أن تمت به إلينا، ولا تحمل نفسك على هذا، فقلت: هذا شعر لي أعزك الله، فقال الرجل: سبحان الله يا فتى، لا تقل هذا، ثم ابتداء فأنشد من القصيدة أبياتا، فقال لي أبو سعيد: نحن نبلغ ما تريد، ولا تحمل نفسك على هذا فخرجت متحيراً لا أدري ما أقول، ونويت أن أسأل عن الرجل من هو؟ فما أبعدت حتى ردني أبو سعيد ثم قال: جنيت عليك فاحتمل، أتدري من هذا؟ قلت: لا، قال: هذا ابن عمك حبيب بن أوس الطائي أبو تمام، فقم إليه، فقمته إليه فعانقته، ثم أقبل يقرظني ويصف شعري، وقال: إنما مزحت معك، فلزمته بعد ذلك وكثر عجبني من سرعة حفظه)) (٧)

الرواية الثانية: ((حدثني سوار بن أبي شراعة قال، حدثني البحتري قال: كان أول أمرني في الشعر، ونباهتي فيه، أنني صرت إلى أبي تمام وهو بحمص، فعرضت عليه شعري، وكان يجلس فلا يبقى شاعر إلا قصده وعرض عليه شعره، فلما سمع شعري أقبل علي وترك سائر الناس، فلما تفرقوا قال: أنت أشعر من أنشدني، فكيف حالك؟ فشكوت خلة، فكتب لي إلى أهل معرة النعمان، وشهد لي بالحق، وقال: امتدحهم، فصرت إليهم فأكرموني بكتابته ووظفوا لي أربعة آلاف درهم، فكانت أول ما أصبته.

حدثني أبو عبد الله العباس بن عبد الرحيم الألوسي قال، حدثني جماعة من أهل معرة النعمان قال: ورد علينا كتاب أبي تمام للبحتري: يصل كتابي على يدي الوليد بن عبادة، وهو على بذاذته شاعر فأكرموه)) (٨)

٤- رواية أبي اسحاق بن عليّ الحصري (ت: ٤٥٣هـ) وصية أبي تمام للبحري:

((وقال الوليد بن عبيد البحري: كُنْتُ فِي حَدَاثَتِي أَرُومُ الشَّعْرِ. وَكُنْتُ أَرْجِعُ فِيهِ إِلَى طَبْعٍ. وَلَمْ أَكُنْ أَقِفْ عَلَى تَسْهِيلِ مَا أَخَذَهُ. وَوَجْهَهُ اقْتَضَاهُ. حَتَّى قَصَدْتُ أَبَا تَمَامٍ. وَانْقَطَعَتْ فِيهِ إِلَيْهِ. وَاتَّكَلْتُ فِي تَعْرِيفِهِ عَلَيْهِ: فَكَانَ أَوَّلَ مَا قَالَ لِي: يَا أَبَا عَبَّادَةَ: تَخِيرِ الْأَوْقَاتَ وَأَنْتَ قَلِيلُ الْهَمُومِ. صَفَّرَ مِنَ الْغَمُومِ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ فِي الْأَوْقَاتِ أَنْ يَقْصِدَ الْإِنْسَانُ لِتَأْلِيلِ شَيْءٍ أَوْ حِفْظِهِ فِي وَقْتِ السَّحَرِ: وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ قَدْ أَخَذَتْ حَظَهَا مِنَ الرَّاحَةِ. وَقَسَّطَهَا مِنَ النَّوْمِ. وَإِنْ أَرَدْتَ التَّشْبِيحَ فَاجْعَلِ اللَّفْظَ رَشِيقًا. وَالْمَعْنَى رَقِيقًا. وَأَكْثَرُ فِيهِ مِنْ بَيَانِ الصَّبَابَةِ. وَتَوَجُّعِ الْكَأَبَةِ. وَقَلَقِ الْأَشْوَاقِ. وَلَوْعَةِ الْفِرَاقِ. فَإِذَا أَخَذْتَ فِي مَدِيحِ سَيِّدٍ ذِي أَيَادٍ فَأَشْهَرِ مَنَاقِبَهُ. وَأَظْهَرِ مَنَاسِبَهُ. وَأَبْنِ مَعَالِهِ. وَشَرِّفْ مَقَامَهُ: وَنَضِّدِ الْمَعَانِي. وَاحْذَرِ الْمَجْهُولَ مِنْهَا. وَإِيَّاكَ أَنْ تَشِينِ شِعْرَكَ بِالْأَلْفَافِ الرَّدِيئَةِ. وَلَتَكُنْ كَأَنَّكَ خِيَّاطٌ يَقْطَعُ الثِّيَابَ عَلَى مَقَادِيرِ الْأَجْسَادِ. وَإِذَا عَارَضَكَ الضَّجَرُ فَأَرْحُ نَفْسَكَ. وَلَا تَعْمَلْ شِعْرَكَ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِغُ الْقَلْبِ. وَاجْعَلْ شَهْوَتَكَ لِقَوْلِ الشَّعْرِ الذَّرِيعَةَ إِلَى حَسَنِ نَظْمِهِ: فَإِنَّ الشَّهْوَةَ نَعْمَ الْمَعِينُ. وَجَمَلَةُ الْحَالِ أَنْ تَعْتَبِرَ شِعْرَكَ بِمَا سَلَفَ مِنْ شَعْرِ الْمَاضِينَ. فَمَا اسْتَخَسَّنَ الْعُلَمَاءُ فَاقْصِدْهُ. وَمَا تَرَكَوه فَاجْتَنِبْهُ. تَرَشَّدْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ)) (١٥)

المحور الثاني : نقد الروايات:

أ- نقد سند الروايات :

بما تقدم يتضح أمامنا أربع روايات أقدمها كانت رواية الصولي ثم الاصبهاني ثم الامدي ثم الحصري . وهذه الروايات تدور حول علاقة البحري بابي تمام . وقد اختلفت اسانيد تلك الروايات . وإن اعتماد الصولي في (الرواية الأولى) على راو غير معروف هو (أبو الحسن عليّ بن إسماعيل) قد أضعف حقيقة صحبة البحري لأبي تمام . وكذلك سند الاصبهاني في (روايته الأولى) الذي اعتمد على اسم مجهول هو (عمر) . وينضم إليهما الامدي براو مجهول هو (ابا الوضاح) الذي اكتفى بكنيته . وهذا الأمر من شأنه أن يضعف تلك الروايات لاعتمادها على رواة مجهولي الهوية.

ب - نقد متن الروايات:

إذا كان المنطق اختلاف اسانيد الروايات بما يتبعه اختلاف محتويات المتن فانه ليس من المنطق في شيء أن يختلف مضمون الرواية فتعدد الرواة لها ينبغي أن يصب في تأكيد مضمونها الواحد لا أن يكون تعدد الروايات سبيلا لتعدد المضمون وهذا ما يضعف الروايات المختلفة لعدم اتفاقها على رواية الحدث وهو واحد.

وإذا كنا نقر اختلاف سند رواية الصولي مع سند الاصبهاني لاسيما في الرواية الأولى . فان اختلاف متن الرواية أمر طبيعي . فلم يتفق الصولي والاصبهاني في نقطة علها تكون فيصلا في الحكم على هذه العلاقة ألا وهي معرفة الرجلين بعضهما

وقد أنشدته قصيدة له فيه. فاستأذنه البحري في الإنشاد وهو يومئذ حديث السن. فقال له: يا غلام أنشدني بحضرة أبي تمام؟ فقال: تأذن ويستمع. فقام. فأنشده إياها. وأبو تمام يسمع ويهتز من قرنه إلى قدمه استحساناً فلما فرغ منها قال: أحسنت والله يا غلام. فممن أنت؟ قال: من طيئ، فطرب أبو تمام وقال: من طيئ، الحمد لله على ذلك. لوددت أن كل طائفة تلد مثلك. وقبل بين عينيه. وضمه إليه وقال لمحمد بن يوسف: قد جعلت له جائزتي. فأمر محمد بها. فضمت إلى مثلها. ودفعت إلى البحري. وأعطى أبا تمام مثلها. وخص به. وكان مداحاً له طول أيامه ولابنه بعده)) (١١)

الرواية الرابعة : ((حدثني علي بن سليمان الأخفش: قال: حدثني أبو الغوث بن البحري: قال: حدثني أبي: قال: قال لي أبو تمام: بلغني أن بني حميد أعطوك مالا جليلاً فيما مدحتهم به. فأنشدني شيئاً منه. فأنشدته بعض ما قلته فيهم. فقال لي: كم أعطوك؟ فقلت: كذا وكذا. فقال: ظلموك. والله ما وفوك حقك. فلم استكثرت ما دفعوه إليك؟ والله لبيت منها خير مما أخذت. ثم أطرق قليلاً. ثم قال: لعمرى لقد استكثرت ذلك. واستكثرت ذلك. واستكثرت لك لما مات الناس وذهب الكرام. وغاضت المكارم. فكسدت سوق الأدب. أنت والله يا بني أمير الشعراء غداً بعدي. فقممت فقبلت رأسه ويديه ورجليه. وقلت له: والله لهذا القول أسر إلى قلبي وأقوى لنفسي ما وصل إلي من القوم)) (١٢)

٣- روايتا الامدي (ت: ٣٧٠هـ) :

- الرواية الأولى : ((ودليل هذا الخبر المستفيض من اجتماعهما وتعارفهما عند أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري وقد دخل إليه البحري بقصيدته التي أولها:

أفأق صبّ من هوى فأفيا؟

وأبو تمام حاضر. فلما أنشدتها علق أبو تمام أبياتاً كثيرة منها. فلما فرغ من الإنشاد أقبل أبو تمام على محمد بن يوسف فقال: أيها الأمير. ما ظننت أحداً يقدم على أن يسرق شعري وينشده بحضرتي حتى اليوم. ثم اندفع ينشد ما حفظه. حتى أتى على أبيات كثيرة من القصيدة. فبهت البحري. ورأى أبو تمام الإنكار في وجه أبي سعيد محمد بن يوسف. فحينئذ قال له أبو تمام: أيها الأمير. والله ما الشعر إلا له. وإنه أحسن فيه الإحسان كله. وأقبل يقرظه ويصف معانيه. ويذكر محاسنه. ثم جعل يفخر باليمن. وأنهم ينبوع الشعر. ولم يقنع من محمد بن يوسف حتى أضعف للبحري الجائزة)) (١٣)

- الرواية الثانية: ((وقد أخبرني أنا رجل من أهل الجزيرة - ويكنى أبا الوضاح. وكان عالماً بشعر أبي تمام والبحري وأخبارهما - أن القصيدة التي سمعها أبو تمام من البحري عند محمد ابن يوسف وكان أول اجتماعهما وتعارفهما القصيدة التي أولها: فيم ابتدار كما الملام ولوعا؟)) (١٤)

يحمل البحري رسالة إلى قوم لم يعرفهم من قبل تتضمن إشارة إلى (بذاته) وهي صادرة عن شاعر هو المثل الأعلى له في الصحبة والأدب كما يزعمون.

فانطوت هذه (الوساطة) على اساءة للبحري بمديح زائف لشاعريته وإذا كان البحري يمتلك هذه الشاعرية وتلك الموهبة لما لا يستطيع أن يظهر بمظهر يبعده عن البذاءة وهو يجالس الامراء والخلفاء والقادة ويقصد قصورهم . فان اضطراب هذه الرسالة وتناقض مضامينها ربما تكون أحد أسباب الشك فيها. - أما رواية الاصبهاني (الثالثة) فلم يشر إليها الصولي إلى جانب تلك الروايتين. ويتضح من خلالها التباين والتضارب عما سبقها من الروايات التي اظهرت الشاعرين وهما يتنازعان في مجلس (محمد بن يوسف الثغري) على قصيدة . فان هذه الرواية تظهر ابا تمام . وهو فرح بانشاد البحري في ذلك المجلس . كما أن إجابات البحري في هذه الرواية تنم عن تحدي لابي تمام حينما قال للأمير : ((تأذن ويستمع)) (٨). ويقصد بأذن الأمير ويستمع أبو تمام.

ويبدو أن أغلب الروايات التي يرويها (الاصبهاني) عن تلك الصحبة لا تخلو من عنصر المبالغة والتكلف لاسيما في روايته (الرابعة) فإن تقبيل (الارجل) لم يعرف له جذري التراث العربي الإسلامي . فإذا كان البحري ينزل إلى هذه الدرجة من الهوان أو التواضع فكيف يرتضي أبو تمام على هذا الفعل؟! فان آدابه تتعارض وهذا الفعل.

وان ما قاله أبو تمام للبحري ((أنت والله يا بني امير الشعراء إذا بعدي)) (٩). يؤكد اعتراف ابي تمام بالبحري واستحسانه لشعره الذي يمثل مدرسة جديدة مخالفة لمدرسته . فهل يعقل أن يناصر أبو تمام من يخالفه ويذهب مذهبا غير مذهبه في الشعر؟!.

إن عدم الأخذ بالروايات المتناقضة يقوم على أساس علمي - كما أزعج - يتمثل في أن تلك الروايات مقتضبة وتفتقر إلى الدقة والتحديد . ولم تحب على سؤال متى . وأين ؟ ولعل اهتمام الرواة بهذه الصحبة بين أبي تمام والبحري قد جاء استجابة لرغبة في إظهار العصر العباسي بمظهر جديد يخالف ما الفتة الذهنية العربية وما شهده العصر الأموي من منازعات ومناقضات ومنافرات كالتى كانت بين جرير والفرزدق مثلا . فبدل (المناقضات) في ذلك العصر جاءت (التوافقات) بين شاعرين وهو توافق من نسج خيال الرواة فلكل منها منهجه ورؤاه ومنحاه (١٠).

وإذا كنا قد أيقنا بوجود (المناقضات) بين جرير والفرزدق التي عجت بها كتب الأدب . فان الشعر كان هو الوثيقة التي جسدت تلك النقائض . والحال مختلفة في صحبة البحري لابي تمام. فقد صمت الشعر ولم ينطق أي ديوان شعري في تلك الحقبة عن تلك الصحبة أو التلمذة بما في ذلك ديوانا الشاعرين أنفسهم . ويرى د. يونس السامرائي ((إن العلاقة بينهما لم تصل الى علاقة الطالب باللاستاذ . وان كل مافي الامر - اذا صح - انها اجتماعا وتعارفا وفرض كل منهما الآخر . وبقي

لبعض . فرواية الصولي تشير إلى عدم معرفة البحري لابي تمام وهما في مجلس ابن سعيد الثغري الذي اخبر البحري قائلا: ((أدري من هذا؟ قلت: لا. قال: هذا ابن عمك حبيب بن أوس الطائي أبو تمام. فقم إليه)) (١١) واذا (صح ان القصيدة التي مدح بها البحري ابا سعيد كانت في سنة ٢٣١ هجرية كما يؤرخها شارح ديوانه فمعنى هذا ان البحري كان في الخامسة والعشرين من عمره. وهو على هذا لم يكن أول أمره بالشعرونباهتة فيه. إذا ما علمنا انه عاجلة وهو حدث صغير . فهو قد استوى شاعرا مهما حتى ادعى ابو تمام - وهو الشاعر الطائر الصيت ان ما انشده كان من شعرة)) (١٧)

أما الاصبهاني فقد أكد عدم هذه المعرفة ولكن بطريقة معاكسة لرواية الصولي : إذ نجد ابا تمام لا يعرف البحري من خلال قوله ((حتى عرفني الأمير نسبك وموضعك)) (٦).

وكلتا الروايتين لم تؤرخا ما جعل العلاقة وبدايتها موضع تأمل وشك. وإذا تجاوزنا عدم معرفة البحري بأبي تمام . وأبي تمام بالبحري فإن مجلس (ابن سعيد الثغري) لم يكن مجلس تعارف بين الشاعرين كما تشير الروايتان على اختلاف منطوقيهما . وإنما هو مجلس تنازع وتنافس وإتهام بعضهما البعض في نسبة قصيدة من القصائد سواء كانت القصيدة للبحري أم لابي تمام فإن نسبتها لأي منهما يؤكد وجودهما في ذلك المجلس غير إن ما رواه الامدي مستندا على (ابي وضاح) بان القصيدة لم تكن (قافية الروي) كما اشار إليها الصولي والاصبهاني . بل هي (عينية) وسواء أكانت القصيدة عينية أو قافية لا يغير من الامر شيئا.

وما يسهل توجيه الشك بل النقد إلى تلك الروايات إن مجلسا أو محفلا يتبارى فيه الشعراء - كبار الشعراء - لم يتمكن حاضروه من توثيق قصيدة يتنازع عليها اثنان . فلو كان فعلا هنالك لقاء . وهنالك تنازع وهنالك قصيدة لاتفتقت الروايات عليها . فالاختلاف على القصيدة احد أسباب الشك في وجود القصيدة المزعومة حسب بل للقاء المفترض.

- أما روايتا الصولي والاصبهاني (الثانية) فإنها تفتقر إلى ما يعزز صحتها ووجودها وذلك لعدم ذكر زمن اللقاء وتاريخه . كما أن ابي تمام لم يكن واليا أو ذا سطوة على أهل معرفة النعمان كي يتشفع للبحري لديهم.

وما ينسف صحة تلك الرواية هي تلك الدباجة المهنية للبحري وقد أنطوت على اساءة مباشرة لشخصه حينما ذكرت عبارة ((وهو - على بذاته - شاعر فأكرمموه)) (٧). فهل يُعقل أن يرتضي البحري بحمل رسالة تؤكد رثائته؟! هذا من جهة . ومن جهة أخرى هل يعقل أن أبا تمام الشاعر الذواقه صائغ العقود الشعرية أن يتكلم بلغة خط من قدر صاحبه؟! فضلا عن أن الكتاب الاستعطافي لابي تمام لم يتضمن أية إشارة لمنزلة البحري أو وجود علامة صحبة معه.

ولهذا فإن القراءة المتأنية لمضمون هذا (الكتاب) يؤكد انتحاله وهو من نسج أنامل ماهرة احترفت نسج الروايات الأدبية وهي تنتصر لابي تمام عبر الخط من شأن البحري . فليس معقولا أن

كالصولي والامدي مع ما بينهما من اختلاف لم يذكر (الوصية) وهما أقرب النقاد والمهتمين بالشاعرين.

إن فحوى الوصية المزعومة يشير إلى أنها موجهة لشاعر مبتدئ لا يدرك متى ينظم الشعر وكيف ينظمه ((أبا عبادة: تخبر الأوقات وأنت قليل الهموم، صفر من الغموم، وأعلم أن العادة جرت في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت السحر؛ وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة، وقسطها من النوم)) (٢٨) وقد يكون هذا مسوغا لكنه مستغرب حين يوجه لشاعر كالبحتري . فالبحتري شاعر ذاع صيته . وقد يكون خليفة لأبي تمام فان مخايل الموهبة وألق الإبداع اللذين اتسمت بها شخصية البحتري كان ينبغي أن تمتعنا أبا تمام من توجيه الوصية له . ان كان فعلا توجد (وصية) لأبي تمام . فشاعر كالبحتري لا يحتاج إلى مثل هذه الوصية . فالشعراء يصبحون شعراء بفضل مواهبهم وصفاء قرائحهم فضلا عن مدارسة الشعر واستحياء محاسنه .

ان موضوع (الوصايا) وهو جنس أدبي حفل به تاريخ الأدب العربي من عصر ما قبل الإسلام حتى عصرنا الراهن . له غايات تربوية (٢٩) ودينية وسياسية كوصايا لقمان لابنه . والامام علي (عليهما السلام) لولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) ولعل الشعراء الجاهليون وشعراء صدر الإسلام وشعراء

العصر الأموي والعصر العباسي حتى كتابة هذه الوصية كانوا شعراء اغلبهم بلا وصايا وحملوا راية الشعر من امرئ القيس مروا بعمر بن أبي ربيعة وبشار وأبي نؤاس وغيرهم . فلم يتألق هؤلاء الشعراء تحت تأثير وصية كتبها شاعر متمرس لآخر حديث العهد بالشعر كما يزعمون . في هذه (الوصية).

ومن الغريب ان هذه الوصية قد مرت على كثير من الدارسين والباحثين (١٢) وكأنها مسلمة من المسلمات فلم يتعرض لصحة نسبتها إلى أبي تمام احد. فان ما ذكره ابو تمام في هذه الوصية لم يلتزم به في شعره فلم يذهب فيه إلى المعاني الرقيقة والالفاظ الرشيق . وفيما يتعلق ((بالتشبيب فان ابا تمام لم يتفنن بالحسن إلا قليلا وحظه من صد اللوعة ضئيل)) (٣١) . فان اجواء الوصية ومقاصدها ينسجم مع منهج البحتري ومنحاه الشعري وكأن مضامينها قد استخلصت من نتاج البحتري وقد كتبت في مرحلة لاحقة لهذا النتاج فهي خلاصة لما هو كائن وليس وصية لما سيكون. وهذا ما ذهب اليه د. يونس السامرائي بقوله ((واغلب الظن ان هذه الوصية لم تصدر عن ابي تمام لانها بعيدة كل البعد - في محتواها - عن شعره وخصائصه . ولو كانت صادرة عنه . لكان هو أولى من غيره بتطبيق ما جاء فيها ويخيل ألينا أنها وضعت بعد أستقرار شعر البحتري . لأنها تمثل الى حد بعيد كثيرا من خصائص شعره التي عرض بها)) (٣٠)

ان اختلاف منهج الرجلين فنيا بوصفهما رأسي مدرستين توضحت معالمهما غير نتاجهما الشعري فمن المعروف ان أبا تمام يمثل مدرسة هي اميل إلى التغلغل في دقائق الفكر

على علاقة حسنة . ويعضد هذا الرأي اختلاف الشعاعين في خصائصهما الفنية واتجاهاتهما الشعرية ((٢١))

وإذا أخذنا ما قاله الامدي في هذا الصدد ((أما الصحبة فما صحبه ولا تلمذ له . ولا روى ذلك أحد عنه . ولا نقله . ولا رأى قط أنه محتاج إليه)) (٢٢) . فهذا دليل واضح على نفي الصحبة أو التلمذة على يدي ابي تمام جاعلا من قصيدته التي كان مطلعها : (أفاق حب من هوى فأفيقا؟) دليلا على ارتفاع كلمة البحتري الشعرية وعدم حاجته لمثل هذه التلمذة إذ يقول الامدي ((من يقول هذه القصيدة التي هي من عين الشعر وفاخر كلامه. وهو لا يعرف أبا تمام إلا أن يكون بالخبر. يستغنى عن أن يصحبه أو يتلمذ له أو لغيره في الشعر)) (٢٥).

إن قضية صحبة البحتري لأبي تمام قد اشترك في تصويرها الرواة والنساخون بما اضافوا إليها من أخبار لاسيما إخبار الصولي الذي اتهم ((بالتعصب لأبي تمام وهو الذي يجب ان ترفض الكثير من أحكامه بل ومن اخباره لوضوح هواه وفساد ذوقه وكثرة ادعائه)) (١١). وقد ترى ((لأنصار البحتري حيننا . وانصار ابي تمام حيننا اخر اصبعا في اختلافها ووضعها . رغبة في رفع من يتعصبون له . ونحن... قد نشاركهم في هذا الشك (٢٦) . ولهذا فإن ما وصلنا من روايات حول تلك العلاقة لم يعد سوى اقايصيص أدبية حبرها كتاب مهرة ليسدوا حاجة سوق الوراقين عهد ذاك إلى مثل هذا اللون من الأدب . وليس مستغربا نسج مثل هذه الاقايصيص في تاريخ ادبنا العربي نساج قصة قيس بن الملوح (مجنون ليلى) وقد ذهب الدكتور طه حسين إلى إنها غير واقعية ومختلفة ((٢٧))

جـ / نقد الوصية:

إن بعض الروايات تحمل عوامل ضعفها بداخلها سواء في اللغة التي كتبت في مضمونها وغايتها. فالوصية الموجهة من أبي تمام إلى البحتري لم ترتق إلى مستوى وصية صادرة من شاعر كبير كأبي تمام فهي عبارة عن وصايا لتنظم الشعر لم تكن بعيدة عن أذهان المشتغلين بهذا الميدان . فليس من المعقول أن تقتزن هذه الوصية بأبي تمام وهو صاحب البيان الساحر والمؤثر كما أن البحتري ليس في المستوى الذي يحتاج إلى هذه الوصية لاسيما وأن بعض الروايات تؤكد إشادة ابي تمام به بوصفه (أمير الشعراء بعده غدا) فالذي يصل إلى هذه المرحلة قد تجاوز مرحلة التعليم والمدارسة للشعر . فالبحتري هو مدرسة متفردة ومتميزة في ذلك العصر تضاهي مدرسة ابي تمام الشعرية .

ومن الغريب أن ما روي عن وصية ابي تمام للبحتري (الوصية النقدية التوجيهية) لم تذكرها المصادر المشرقية وإنما اختص بها المغاربة كالحصري . وابن رشيق القيرواني . وكان الأولى بالمشاركة لو كانت هذه الوصية صحيحة لتناقضتها المصادر المشرقية وثقتها . بما يطرح تساؤلا عما استندت عليه الرواية المغربية من مصادر فهي مقطوعة السند . وهؤلاء (الحصري وابن رشيق متأخرون عن عصر البحتري وابي تمام زهاء قرن من الزمن . في حين من اعتنى بجمع شعر الشعاعين وأثارهما

من عشرة قرون. في كل ما قرأناه من روايات نجد أن البحري كان مظلوماً وان أغلب تلك الروايات كانت منحازة لأبي الهيثم، ذميم المظهر، مستضعفاً تابعاً لأبي تمام تمام، وذلك من خلال اظهار البحري ذميم.

الهوامش

- ١- في مقدمة تحقيقه لـ (اخبار البحري): ٧.
- ٢- ينظر: حياة البحري وفنه: ٥٠-٥٤.
- ٣- ينظر العصر العباسي الثاني: ج ٢/١٧٢.
- ٤- ينظر مقدمة (شرح الصولي ديوان أبي تمام): ج ١/٢١.
- ٥- في مقدمة تحقيقه لـ (ديوان البحري): ج ١/١٣-١٣.
- ٦- ينظر البحري في سامراء: ١٠-١٤.
- ٧- إخبار أبي تمام: ١٠٥-١٠٦.
- ٨- نفسه: ٦٦.
- ٩- الأغاني: ج ٢١: ٤١-٤٢.
- ١٠- نفسه: ج ٢١: ٤٠. وينظر وفيات الاعيان ج ١/٢٢-٢٣.
- ١١- نفسه: ج ٢١: ٤٢.
- ١٢- نفسه: ج ٢١: ٤٨.
- ١٣- الموازنة بين أبي تمام والبحري: ج ١/٢٢-١٣.
- ١٤- نفسه: ج ١: ١٣.
- ١٥- زهر الاداب وثمر الالباب: ج ١/١٥٢. وينظر العمدة في مجلسن اهل الشعر: ج ١/١١٤-١١٥.
- ١٦- ينظر اخبار ابي تمام: ١٠٦.
- ١٧- البحري في سامراء: ١٠.
- ١٨- الأغاني: ج ٢١: ٤٢.
- ١٩- اخبار ابي تمام: ٦٦. وينظر الأغاني: ج ٢١: ٤٠.
- ٢٠- ينظر: الأغاني: ج ٢١: ٤٢.
- ٢١- نفسه: ج ٢١: ٤٨.
- ٢٢- ينظر اتجاهات الشعر في العصر الأموي: ٢٦٨.
- ٢٣- البحري في سامراء: ١١.
- ٢٤- الموازنة: ج ١/١٢.
- ٢٥- نفسه: ج ١: ١٢.
- ٢٦- النقد المنهجي عند العرب: ١٠٣.
- ٢٧- حياة البحري وفنه: ٥٤.
- ٢٨- ينظر من تاريخ الأدب العربي: ج ١/٥٠٦-٥٠٧.
- ٢٩- زهر الآداب: ج ١/١٥٢.
- ٣٠- ينظر جواهر الأدب: ج ١/١٦١-١٩٠.
- ٣١- ينظر النثر الفني في القرن الرابع: ج ١/٢٢.
- ٣٢- أحمد شوقي: ١١.
- ٣٣- البحري في سامراء: ١٢-١٣.
- ٣٤- ينظر العصر العباسي الثاني: ٢٨٧-٢٨٨.
- ٣٥- مقدمة ديوان البحري: ج ١/٣١-٣٢.
- ٣٦- نفسه: ج ١/٣٢.
- ٣٧- ينظر نفسه: ج ١/٣٢.

والأخيلة بحكم ثقافته الفلسفية لذا شاع في أشعاره الغموض والتعقيد، وهذا يخالف مبدأ السهولة والوضوح التي سار عليها (البحري) (٣٣). فكيف يمكن لنهجين شعريين مختلفين أن يلتقيا ؟ وإين علامات تأثر التلميذ بخطى أستاذه أبي تمام الذي توعد له أن يكون أمير الشعراء بعده غداً؟! وقد وقع الدكتور عمر فاروق الطباع في حيرة حين طرح مسألة تتلمذ البحري على يدي أبي تمام قائلا: ((ويروى أن أبا تمام وضع بين يدي البحري مبادئ يتمشى عليها في نظم الشعر، فكيف تعلق إذا مخالفة البحري لأستاذه أبي تمام)) (٣٤) إذ لم يتمكن البحري من مجازاة أبي تمام في ((توليد المعاني أو بالآخرى في تعقيد المعنى وتلوين الشعر بمختلف الصيغ الفكرية واصطناع الثقافة الفلسفية)) (٣٥) وقد لا نتفق مع الدكتور عمر فاروق حين يرى تأثر البحري بصناعة أبي تمام فادخل على شعره جوانب من البديع كالطباق والجناس كما عني بالزخرفة اللفظية على نحو عام (٣٦). ونحن نرى أن البديع وهو منحى فني قد وسم تاريخ الشاعر العربي كله فليس من العسير أن نلاحظ المحسنات البديعية لدى شعراء العربية منذ الجاهلية وحتى وقتنا الراهن وأن تفاوتت مساحة البديع في قصائدهم.

الاستنتاجات:

يبدو على طرفة الموضوع وجدته فقد كان هاماً في نتائجه كما أزعج، وتتسم دراسته بشيء من الجدية نظراً للنتائج التي تمخض عنها البحث الشك بالصحة والتلمذة والوصية. وقد تكون مخالفة لما جاءت بها الدراسات السابقة التي أشرت إليها في ثانيا الدراسة ان نفي هذه الصحة والتلمذة جاء تعزيزاً لرأي (الأمدي) من القدماء، و(أحمد بدوي) من المعاصرين. وقد استند هذا الشك على ما اتصفت به الروايات من اضطراب واختلال وتناقض في أسانيدھا ومتنها ولغتها. كان خلو ديواني الشاعرين من اية إشارة إلى تلك الصحة أو التلمذة كان واحداً من أهم الأدلة على انتفاء هذه الصحة. فلو كان بين الشاعرين تلك الصحة والعشرة والتلمذة، لما خلا ديوان البحري من قصيدة (رثاء لأبي تمام). فان دواوين الشعراء هي مرآة حياتهم، ومجسدة لأهم الأحداث والشخصيات التي تلقي بظلالها على تلك الحياة. ولعل اختلاف منهج الرجلين فنياً يأتي ضمن الأدلة التي تؤكد عدم وجود صلة (تأثير وتأثر) بينهما فهما زعيما تيارين أو مدرستين مختلفتين في الشعر العربي وان ما أشار إليه بعض الدارسين من وجود ميل لدى البحري نحو المحسنات البديعية بوصفه متأثراً بابي تمام، فان وجود تلك المحسنات لدى شعراء سبقوا ابا تمام زمنياً وتباعد عصرهما يؤكد إمكانية وجود هذا اللون من الصياغة الشعرية لدى البحري أسوة بغيره من الشعراء. فان تأثر (الجواهري) بأسلوب (المتنبي) لا يعني تتلمذ الجواهري على يد المتنبي أو صحة بين الرجلين وبينهما أكثر

المصادر والمراجع

- ١- اتجاهات الشعر في العصر الأموي، د. صلاح الدين الهادي، مكتبة الخاخي، القاهرة، مطبعة المدني، ط ١، ١٩٨٦م.
 - ٢- أحمد شوقي، بقلم د. زكي مبارك، تقديم: كريمة زكي مبارك، دار الجيل، بيروت ١٤٠٨/١٩٨٨م.
 - ٣- إخبار أبي تمام، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي (ت: ٣٣٥هـ)، بقلم: أحمد أمين، (د. ط)، (د. ت).
 - ٤- إخبار البحري، للصولي (ت: ٣٣٥هـ) وبآخرها ذيل الأخبار من رواية الصولي، خ: د. صالح الاشت، ط ٢، ١٣٨٤-١٩٦٤.
 - ٥- البحري في سامراء، يونس أحمد السامرائي/مطبعة الارشاد، بغداد ١٩٧٠.
 - ٦- الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني (ت: ٣٥٦هـ)، ج: ٢١، خ: عبد الكريم إبراهيم الغرابوي، ومحمود محمد غنيم، إشراف أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة مجال للطباعة والنشر، بيروت.
 - ٧- جواهر الأدب في (أدبيات وأنشاء لغة العرب)، السيد أحمد الهاشمي، ج: ١-٢، (د. ط)، (د. ت).
 - ٨- حياة البحري، أحمد أحمد بدوي.
 - ٩- ديوان البحري، خ: د. عمر فاروق الطباع، ج: ١، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر، لبنان.
 - ١٠- زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (٤٥٣هـ)، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم د. زكي مبارك، ج ١-٢، خ: محمد محي الدين عبد الحميد، دار
- الجيل، ط ٤، بيروت.
- ١١- شرح الصولي لديوان أبي تمام، د. خلف رشيد نعمان، ج ١، وزارة الإعلام، ط ١، العراق.
 - ١٢- العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، مكتب الوطن للطباعة والترجمة، ط ٢، بغداد.
 - ١٣- العمدة في محاسن أهل الشعر وأدبائه ونقده، ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ)، خ: محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط ٣، (د. ت).
 - ١٤- من تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي والعصر الإسلامي)، د. طه حسين، ج ١، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٧٠.
 - ١٥- الموازنة بين أبي تمام والبحتري، لبشر بن يحيى الأمدي (٣٧٠هـ)، خ: محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط ٣، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م.
 - ١٦- النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك، ج ١-٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥.
 - ١٧- النقد المنهجي عند العرب (ومنهج البحث في الأدب واللغة)، د. محمد مندور، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، (د. ت).
 - ١٨- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت: ٦٨١هـ)، خ: د. إحسان عباس، ج ٢، دار الثقافة، لبنان (د. ت).

